الترتيب العالمي : ١

جامعة هارفارد Harvard University

مقر الجامعة : كامبريدج – ماساتشوسيتس ، الولايات المتحدة الأميركية

تاريخ التأسيس : ١٦٣٦م

أوقاف الجامعة : ٣٥,٦ بليون دولار أميركي

مجموع أعداد الطلاب : ١٩,١٣٩

الموقع على الانترنت : www.harvard.edu

الدراسة في الخارج
مقدمة

١

"لا مانع من أن نأخذ من غيرنا المفيد ، فالحكمة ضالة المؤمن يلتقطها حيث وجدها".

عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود

جريدة أم القرى ، ١٣٥٠هـ

الفصل الأول

في هذا الفصل :

- لمحة تاريخية
- الفوائد والآثار الإيجابية
- الاستثمار في التعليم
- الموقف المتحفظ ومبرراته

إن أي حديث عن الابتعاث للدراسة في الخارج ، أو أي مناقشة لقضاياه ، لا بد أن تلقي بعض الضوء على فوائده وآثاره الإيجابية، ومن هنا يأتي هذا الفصل مستعرضاً أهم هذه الفوائد والآثار الإيجابية ومناقشاً لها مع إلقاء بعض الضوء على موضوع الاستثمار في التعليم، ويبدأ الفصل باستعرض تاريخي لظاهرة الرحلة في طلب العلم والتي عرفها المسلمون في وقت مبكر، كما يشير هذا الفصل لتجربتين متقدمتين لكل من المملكة العربية والسعودية وجمهورية مصر في ذلك في القرنين الثامن والتاسع عشر.

لمحة تاريخية

في البدء لا بد من الإشـــارة إلى أن تاريخ الدراسة في الخارج يعود إلى عصور قديمة فمنذ «أن عرف الإنسان الحضارة، والرحلة في طلب العلم بأشكالها المختلفة تقليدٌ من تقاليده العريقة، يتجشم من أجلها الصعاب ويترك بســـببها الأهل والأصحاب، ويقدم في ســـبيلها التضحيات المادية والشـــخصية والاجتماعية»[١]، وقد عُرفت الرحلة لطلب العلم عند المســـلمين في وقت مبكر، وإن من أشـــهر الشـــواهد المعروفة على وجود ظاهرة الرحلة في طلب العلم ما قام به علماء الحديث رحمهم الله، كالإمام البخاري والإمام مسلم وغيرهما من الأئمة، حيث تغربوا سنوات طويلة في طلب العلم وتحصيل الحديث في حواضر الإسلام المختلفة.

وبالإضافة إلى الاغتراب في طلـــب العلم وتحصيل الحديث النبوي الشريف، قدم المســـلمون خدمات جليلة للعلم من خلال ما قام به الرحالة المسلمون المستكشفون مثل المسعودي صاحب «المسالك والممالـــك»، وكذلك العديد من الجغرافيـــين، والذين مهدوا لعلمـــي التاريخ والجغرافيـــا ووضعوا أســـسها الصحيحة[٢]، وقد اســـتمرت مواكب طلاب العلم في الرحيل بحثاً عن العلم والمعرفة في شـــتى أنواع العلوم والفنون، ومـــع التقدم العلمي الذي كانت تعيشـــه الأمة الإســـلامية، كانت جامعات بغداد ودمشق وقرطبة والقيروان والبصرة والكوفة وغيرها قبلة لطلاب العلم من شـــتى أنحاء المعمورة.

وفي العصر الحديث ، الذي تراجع فيه المسلمون وأصبح التقدم العلمي والتقني بيد الغرب ، قام طلاب العلم من شتى أصقاع المعمورة بتنظيم الرحلات إلى مصادر هذا العلم ليتعلموا لغته ، وينهلوا من معينه ، ويتخصصوا في علومه ، باحثين عن التقدم والتطور لهم ولمجتمعاتهم ، وقد عرفت ظاهرة الرحلة في طلب العلم في العصر الحديث بـ «الدراسة في الخارج» Studying Abroad ، والتي اتسعت وامتدت لتتناول كافة المجالات والتخصصات ، وذلك استجابة للنهضة العلمية التي يعيشها العالم الحديث ، وبسبب تطور وسائل الاتصال والمواصلات .

وتأتي مصر في مقدم الدول العربية السباقة إلى بعث المتميزين من أبنائها للدراسة خارج أوطانهم حيث قام محمد علي باشا (والي مصر في الفترة ١٨٠٥-١٨٤٨م) بإرسال العديد من البعثات التعليمية إلى أوروبا ، وقد بدأت البعثات عام ١٨١٣م إلى إيطاليا لدراسة الفنون العسكرية والهندسة ، ثم توالت البعثات بعد ذلك إلى فرنسا وإنجلترا والنمسا لدراسة الطب والتشريح والكيمياء والعمارة والطباعة والترجمة وغيرها من العلوم ، وقد بلغ عدد المبعوثين إلى أوروبا في أيام محمد علي ٣١٩ طالباً ، كان لهم - بعد عودتهم - أثر كبير في نهضة مصر الاجتماعية والعلمية والاقتصادية والحربية. وقد كان محمد علي يقيم صلات قوية بينه وبين الطلاب المبعوثين ، حيث كان يراسلهم ويتحدث إليهم عن المشاكل التي يواجهونها ، ويطلب منهم أن يكونوا قدوة حسنة ، كما أنه كان لا يتوانى عن توبيخ المقصر منهم[٣].

«إن العلوم إنما تكثر حيث يكثر العمران وتعظم الحضارة»
ابن خلدون(٤)

أما في المملكة العربية السعودية فقد بدأ الابتعاث للدراسة في الخارج في عهد الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود عام ١٣٤٦هـ (١٩٢٧م)، حيث وافق -رحمه الله- على مشروع البعثات، وأمر بأن توفد البعثة السعودية الأولى إلى مصر، وكان عدد أفرادها ١٤ طالباً والملاحظ أن الابتعاث بدأ في وقت مبكر جداً من مرحلة التأسيس، إذ بدأ بعد ثلاث سنوات فقط من دخول الملك عبدالعزيز مكة المكرمة، وقبل توحيد المملكة العربية السعودية بخمس سنوات، مما يدل على اهتمام الملك عبد العزيز بالتعليم، ورغبته الجادة في نشر العلم وهذه الرغبة إنما تعبر عن بعد نظره، وإدراكه الواسع لطبيعة الدين الذي حث على طلب العلم والرحلة إليه، كما تعبر عن فهم دقيق لدور التعليم في النهضة والتنمية(٥).

والحقيقة أن لكل دولة من الدول العربية تجربة تاريخية مع برامج الابتعاث، وهذه التجارب تستحق أن تذكر وتروى، ولعلها -أي التجارب- تستهوي اهتمام الباحثين العرب لأخذ العبر والدروس منها، والاستفادة مما فيها من إيجابيات وتجاوز السلبيات.

الفوائد والآثار الإيجابية

لبرامج الدراسة في الخارج فوائد كثيرة و آثار إيجابية ، منها ما يعود على الطلاب الدارسين أنفسهم بزيادة معارفهم وعلومهم ، والرفع من قدراتهم ومهاراتهم ، ومنها ما يعود على مجتمعاتهم ، من خلال دفع عجلة التنمية والإسهام في التقدم والنماء ، وتوطيد عرى الصداقة وزيادة فرص التعاون مع المجتمعات الأخرى ، ويمكن النظر للآثار المترتبة على برامج الدراسة في الخارج على الفرد والمجتمع من خلال النقاط التالية :

١- اكتساب المعارف والعلوم الحديثة.
٢- بناء الجسور بين الثقافات المختلفة.
٣- تنمية الموارد البشرية.
٤- التعريف بالوطن وبالرسالة الحضارية للإسلام.
٥- إتقان اللغات الأجنبية.
٦- اكتساب أنماط حياتية جديدة.
٧- دعم برامج التعليم العالي.

اكتساب المعارف والعلوم الحديثة

إن الدراسة في الجامعات العالمية المتقدمة ، والاحتكاك بأنظمة متقدمة في التعليم وبأساليب وطرق جديدة في التفكير وفي معالجة المشكلات تسهم بلا شك في اكتساب الطالب للمعارف والعلوم الحديثة ، وممارسة المنهج العلمي في البحث ، كما تزيد من قدراته ومهاراته وخبراته العلمية والعملية.

إن العلم يتطور بسرعة مذهلة خاصة في مجالات الطب والعلوم

والتكنولوجيا ، ولا بد من متابعة هذا التطور والاستفادة منه استفادة كاملة ، ولذا ، فإن برامج الدراسة في الخارج تُتيح للطلاب الاطلاع على الجديد في مجالات العلوم المختلفة ، كما تُسهّل عليهم الاستفادة من المختبرات والمعامل الحديثة ، والتدرب على استخدام الأجهزة المتقدمة خاصة في التخصصات الطبية والعلمية الدقيقة ، وكذلك فإن الطلاب بعد معايشتهم للبيئات العلمية واكتسابهم لغة العلم ، يتمكنون بعد تخرجهم من متابعة المستجدات العلمية في مجال تخصصاتهم عن طريق المجلات والدوريات العلمية ، وكذلك بالمشاركة في المؤتمرات واللقاءات العلمية المتخصصة.

بناء الجسور بين الثقافات المختلفة

إن تجربة الدراسة في الخارج بما فيها من احتكاك مباشر للطلاب مع أفراد المجتمع الجديد ، وتفاعل إيجابي لهم مع الثقافة الجديدة ، تؤدي إلى بناء الجسور وتوسيع دائرة المعرفة ، وزيادة الفهم المتبادل بين الشعوب والثقافات المختلفة ، مما يؤثر إيجاباً على علاقات تلك الشعوب والثقافات مع بعضها البعض ، ويسهم في زيادة مجالات التعاون ، وتعزيز أواصر الصداقة بينها.

تنمية الموارد البشرية

لا يمكن تحقيق التنمية الاقتصادية لأي دولة بالشكل المأمول مالم تقترن بتنمية حقيقية في مجال الموارد البشرية ، إذ إن الفرد هو محور التنمية والفاعل الأول فيها ، ولذلك فإن برامج الدراسة في الخارج تُعد رافداً نوعياً مهماً من روافد تنمية الموارد البشرية الوطنية ، وفي التجارب التنموية الناجحة لكثير من الدول النامية ، كدول النمور الآسيوية يلاحظ دور الاستثمار في العنصر البشري تعليماً وتدريباً وابتعاثاً في العقود الماضية في إحداث التقدم و التنمية الاقتصادية في

تلك الدول. وباختصار ، فإن الاهتمام بالبشر تعليماً وتدريباً ، والنظر لهم على أنهم الركن الأساس لإحداث التنمية الحقيقية شرط رئيس لنجاح التجربة التنموية.

ومع النهضة التي تشهدها العديد من الدول العربية في الوقت الحاضر ، ومع التوسع في المشروعات والمدن الجامعية و الطبية و الصناعية ، فإنها بحاجة ماسة إلى الكوادر البشرية والخبرات الوطنية المؤهلة تأهيلاً عالياً وفق أحدث مستجدات المعرفة والعلوم والتكنولوجيا ، وذلك لسد النقص الموجود خاصة في المجالات الطبية والصناعية والتكنولوجية الحديثة ، وللتقليل من الآثار السلبية لاستقدام الخبرات الأجنبية.

التعريف بالوطن وبالرسالة الحضارية للإسلام

للابتعاث للدراسة في الخارج آثارٌ إيجابيةٌ فيما يتعلق بتعريف مجتمعات دول الدراسة بتاريخ وحضارة وواقع الدول العربية والإسلامية ، وتعريفهم بعادات الشعوب العربية وتقاليدها ، كما أن للابتعاث للدراسة في الخارج فوائد كثيرة فيما يتعلق بتعريف الآخرين بالدين الإسلامي الحنيف ، وتصحيح النظرة السلبية لدى بعض أفراد المجتمعات الأخرى عن الإسلام والمسلمين.

إتقان اللغات الأجنبية

لا تكفي الدراسة في معاهد اللغات لإتقان اللغات الأجنبية ، لأن البرامج التدريبية في اللغة تكون عادة مرتبطة بالاستعداد الشخصي للتحصيل ، والذي يكون عالياً حال ارتباطه بالحصول على درجة علمية ، ولذا ، فإن قضاء سنوات في بلد الدراسة ، واستخدام اللغة الأجنبية طيلة هذه السنوات في البحث والدراسة ، تحدثاً واستماعاً وقراءة وكتابة ،

يؤدي إلى إتقان اللغة الأجنبية ، وبالتالي فإن الطالب يصبح قادراً على متابعة كل جديد في مجال تخصصه ، كما يصبح حلقة وصل بين وطنه والدول الأخرى التي تتحدث لغة البلد الذي درس فيه.

اكتساب أنماط حياتية جديدة

تتفاوت الآثار المتحصلة من تجربة الدراسة والغربة والعيش في مجتمعات متقدمة بحسب قدرات كل فرد واستعداداته ، إلا أنها في معظم الأحيان ، تؤدي إلى اكتساب الطالب لبعض العادات والقيم الحميدة فيما يتعلق بالانضباط ، والتفاني في العمل ، والمثابرة في الإنجاز ، والدقة في المواعيد ، وتقدير العمل التعاوني ، وتقديم الصالح العام على الصالح الخاص ، بالإضافة إلى تطور نمط الحياة والعادات الاستهلاكية ، كما أن احتكاك الطالب ببيئة جديدة ، وتعرفه على فلسفات ووجهات نظر مختلفة يزيد من تسامحه وقدرته على التعايش مع الآخرين ، ويُتيح له نظرةً أوسع في معالجاته للقضايا الوطنية والعالمية ، كما يُعمّق من ممارساته التقييمية لمجتمعه وبيئته المحليين.

دعم برامج التعليم العالي

مع كثرة وتنوع مجالات الدراسة في التعليم العالي ، إلا أنها لا تستطيع مواجهة التزايد المتسارع عاماً بعد عام في أعداد الطلاب المتخرجين من المرحلة الثانوية أو الراغبين في الدراسات العليا ، لذلك فإن التوسع في الابتعاث للدراسة في الخارج خاصة في بعض التخصصات النادرة يعد رافداً نوعياً مهماً لبرامج التعليم العالي المتوفرة داخل الوطن.

«فيما قرأت: أن من لا يعرف إلا وطنه لا يعرف وطنه , والمعنى واضح , فإن الوقوف على معرفة أوضاع الآخرين والوقوف على طبيعة الحياة في الأوطان الأخرى يمنحك المعرفة ، كما يمنحك التعرف على النعمة التي تعيشها في وطنك».

عبدالله عمر خياط[٦]

لسنا وحدنا !

إن «الدراسة في الخارج» ظاهرة ثقافية وتعليمية عالمية ، فحتى الدول المتقدمة علمياً واقتصادياً تهتم ببرامج الدراسة في الخارج ، وذلك من أجل الاحتكاك بالخبرات الأجنبية والاستفادة منها ، وعلى سبيل المثال ، فإن العديد من الدول المتقدمة علمياً ، والتي تضم جامعات متميزة ، كالولايات المتحدة الأميركية وكندا وبريطانيا ، تدعم برامج الدراسة في الخارج ، والتي تتضمن بعث عشرات الآلاف من مواطنيها للدراسة خارج أوطانهم وذلك إدراكاً منها للفوائد الكثيرة المترتبة على هذه الظاهرة التعليمية والثقافية.

إن التطور في كل مجالات الحياة لا يمكن أن تحتكره دولة بعينها ، بل إن لكل دولة من دول العالم ميزة تنافسية ، نشأت بسبب عوامل اقتصادية أو بيئية أو ثقافية معينة ، وأدت إلى تميز تجربتها في مجالٍ من المجالات ، ولذلك فإن الاطلاع على خبرات الآخرين والاستفادة من تجاربهم يعد أمراً ضرورياً يجب أن لا يتوقف.

وأخيراً ، فلا بد من الإشارة إلى أن تحقق هذه الآثار الإيجابية مرهونٌ بتوافر عدة أمور ، ففي البداية ، لا بد من تحقيق مبدأ تكافؤ الفرص للطلاب المتقدمين للمنح الدراسية ولا بد من اختيارهم بعناية ، ووفق شروط محددة تراعي جوانب التفوق العلمي والسلوكي لهم ، كما تراعي حاجة الوطن في التخصصات المهمة وكذلك ، فمن الضروري الاهتمام ببرامج التهيئة والإعداد ، وتحسين أداء المكاتب والملحقيات الثقافية في الخارج ، حتى تتمكن من أداء دورها في متابعة الطلاب وإرشادهم.

الاستثمار في التعليم

تقدمت الإشارة إلى ضرورة الاهتمام بالموارد البشرية الوطنية ، فالتنمية الاقتصادية لا يمكن أن تتحقق لأي دولة بالشكل المأمول مالم تقترن بتنمية حقيقية في مجال تعليم الموارد البشرية وتدريبها ، إذ إن الفرد هو المحرك الأساس للعملية الإنتاجية ، وهو العنصر الرئيس في منظومة التنمية ، وإذا ما أُحسن إعداد الموارد البشرية وتأهيلها وفق خطط مدروسة ، فإن الأفراد سيتحولون إلى عناصر منتجة وبناءة ، ويُعد ستروميلين Strumilin من أوائل الاقتصاديين المعاصرين الذين تنبهوا إلى أن ما يصرف على التعليم يُعد ذا عائد اقتصادي ، وأن ما يصرف على تطوير المستوى الثقافي للمجتمع يجب أن يُنظر إليه على أنه يماثل تماماً ما يُصرف على الجوانب المادية في الإنتاج ، وقد حاول قياس ذلك كمياً والبرهنة عليه بطريقة تجريبية ، فوجد أنه مع زيادة الإنفاق على التعليم ، ومع زيادة كمية التعليم ونوعيته يزيد دخل الأفراد ويزيد الدخل القومي للدولة[٧].

قالوا

«إن الأمم تفاخر بأبنائها وبمنجزاتهم ونحن نفاخر بكم وبإخوانكم في جميع أنحاء العالم ، ونتطلع إلى أن تعودوا لوطنكم محملين بالعلم الذي من خلاله بعد الله سنؤدون واجبكم الوطني ، فاحرصوا على التحصيل الجيد في كل العلوم ، وكلنا نعلم بأن العلم هو الشيء الذي لا يقدر بمال أبداً».

خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز آل سعود[٨]

ويقسم العائد من الاستثمار في التعليم إلى قسمين: عائد مادي مباشر ، وعائد غير مباشر في النواحي الاجتماعية والثقافية لكل من الفرد والمجتمع ، والتي لا تقل أهمية عن العائد الاقتصادي المباشر[٩] ، وتؤكد دراسة أجريت على ١٩٢ بلداً في العالم أن ما نسبته ١٦ في المئة من النمو يعود إلى رأس المال المادي ، و تأتي ما نسبته ٢٠ في المئة من رأس المال الطبيعي ، بينما تعزى بقية النسبة (٦٤ في المئة) إلى رأس المال البشري ، وذلك يعود إلى أن التعليم يزود القوى البشرية «بالقدرات والمعارف ، والمهارات والقيم والاتجاهات ، مما يؤدي إلى تقليص الفقر والجهل والتخلف ، لأن التعليم يحسن مستوى إنتاجية الأفراد ويزيد دخلهم ، ويرفع مستواهم الصحي ، ويمكنهم من المساهمة في التنمية الاقتصادية والاجتماعية ، ويقلل الفروق الفئوية بينهم ، ويؤدي إلى التماسك الاجتماعي ، ويفسح المجال للكشف عن القدرات المبدعة»[١٠].

إن نسبة كبيرة من الزيادة في الدخل القومي لكثير من الدول لا يمكن إرجاعها إلى مصادر الاستثمار التقليدية ، وإنما يمكن ردها إلى الاستثمار في التعليم ورفع المستوى التعليمي والثقافي للمجتمع ، وقد قام الصاوي [١١] بدراسة التجربة المصرية في الانفتاح الاقتصادي والتنمية ، وخلص إلى أن قصور تنمية الموارد البشرية هو من أهم المعوقات التي أدت إلىعدم تحقيق الانفتاح الاقتصادي لما كان معلقاً عليه من آمال وطموحات ، وباختصار ، فإن الإنسان هوالعنصر الفاعل في الإنتاج والتنمية وهوالمستهلك لثمار التنمية ، وهو القادر على إحداث التغيير للأفضل ، وهو الذي يتوقف عليه مدى تقدم الأمم ، وهو الذي يستخدم الثروات ويحسن استغلالها ، وعموماً فإن استخدام الإنسان لهذه الثروات وحُسن استغلاله له يرتبط بقدراته الصحية والعلمية والفكرية وبمستواه في الطموح والتقدم ، و لذلك فإن الاستثمار في التربية والتعليم هو استثمار من أجل الإنسان ويوفر عائدات تفوق كل ما عداها من ميادين الاستثمار الأخرى.

إن درجة مساعدة التعليم في تحقيق التنمية الاقتصادية تتوقف على مستوى التعليم ونوعيته ، وباعتبار الابتعاث للدراسة في الخارج أحد المجالات التعليمية التي توفر تعليماً متميزاً وراقياً يسهم في تطوير المستوى الثقافي والتعليمي للمجتمع ، فإن العوائد الاقتصادية المترتبة عليه ستكون كبيرة بلا شك.

لقد بدأت العديد من الدول العربية ، ومنها المملكة العربية السعودية ، في الأعوام الأخيرة سياسة اقتصادية منفتحة نحو العالم ، وقد توجت هذه السياسة في عام ١٤٢٦هـ (٢٠٠٥م) بأن أصبحت المملكة عضواً في منظمة التجارة العالمية ، وهذا -بلا شك- يضاعف المسؤولية ، فالانفتاح الاقتصادي على العالم لا يُجدي بدون انفتاح على الخبرات العالمية المتقدمة ، وبناء على ذلك ، فلا بد أن يكون أحد الأهداف الرئيسة لسياسة الانفتاح الاقتصادي : الانفتاح على تكنولوجيا العالم الجديدة ، ولا بد من أن تُسهم الاتفاقيات الاقتصادية في النقل الحقيقي للتكنولوجيا ، وفي إحداث الارتقاء التقني ، بحيث يتحول المجتمع تدريجياً من استيراد التكنولوجيا إلى القدرة على استيعابها وتطويرها ، وتوفير متطلباتها محلياً من حيث توفير المواد الضرورية ، وكذلك توفير الأفراد المسلحين بالعلم والمعرفة والمهارات الضرورية.

وأخيراً ، فمن المهم الإشارة هنا إلى أنه مع أهمية الدافع الاقتصادي ، إلا أنه يجب أن لا يكون الدافع الأقوى أو الوحيد عند الاستثمار في التعليم ، فالعلم إذا تحول إلى «سلعة» ذات مردود اقتصادي بحت ، فقد قيمته كأداة للإصلاح الثقافي والحضاري ، وتحول فيه الفرد إلى سلعة يمكن تسخيرها باسم الاقتصاد إلى أي غاية طالما كانت ذا مردود اقتصادي.

الموقف المتحفظ ومبرراته

لا يزال الوعي العام لدى بعض أفراد المجتمعات العربية ضعيفاً بفوائد برامج الابتعاث للدراسة في الخارج وآثارها الإيجابية على الفرد والمجتمع مما سبقت الإشارة إليه ، حيث يراه بعضهم رحلة مكلفة للدولة عائدها الإيجابي أمر محتمل ، وأما خسارتها المالية فأمر واقع ، وهناك آخرون يشددون على الآثار السلبية للابتعاث على دين الطالب وأخلاقه ، بل ويصل ببعضهم الظن إلى وجود مؤامرات لتغيير عقيدة أبناء المسلمين وفق خطط مدروسة ، كما نقرأ في النص التالي في مجلة«منبر الإسلام»[١٢] :

«وتتزايد الضغوط والتحديات مع تضاعف أعداد المبتعثين من أبناء المسلمين حيث لم يقتصر الأمر على طلاب الدراسات العليا في العلوم التطبيقية بعد أن أصبحت معظم الدول الإسلامية تلقي بأبنائها في هذه المجتمعات حيث تجرى لهم عمليات غسيل مخ ، وتمسخ شخصيتهم الإسلامية على أيدي هيئات ومنظمات صهيونية وماسونية ، ويعود هؤلاء المبتعثون «المثقفون» وهم يحملون معاول الهدم لا أدوات البناء».

ويمكن تلخيص أهم مبررات الموقف الرافض للابتعاث للدراسة في الخارج ، أو المتوقف فيه ، في النقاط التالية :

- قد يؤدي الابتعاث للدراسة في الخارج إلى الافتتان بالغرب والولاء له وتقليده.
- قد يؤدي الابتعاث للدراسة في الخارج إلى الانحراف في العقيدة

والأخلاق.

- تكون الدراسة في بيئة تختلف عن البيئة التي قدم منها الطالب ولذلك فإن الدراسة تتناول موضوعات و قضايا لا علاقة لها بالطالب ، وبعيدة كل البعد عن واقع بلاده ومشكلاته.

- ابتعاد الطالب عن بلده ومجتمعه قد يجعله يُفضل العيش في البلد التي درس فيها ، فبعض المبتعثين قد يستهويه العيش والبقاء في البلاد التي يبتعث لها.

- عدم ارتباط برامج الدراسة في الخارج بحاجات التنمية ، حيث يتم الابتعاث للدراسة في تخصصات نظرية يمكن دراستها داخل الوطن.

- في الابتعاث للدراسة في الخارج هدرٌ ماليٌ كبير.

- للابتعاث للدراسة في الخارج آثار نفسية واجتماعية سلبية على الطلاب المبتعثين[١٣].

وقبل التعليق على المبررات السابقة ومناقشتها لا بد من التأكيد على أهمية النظرة المتوزانة المتعقلة التي تزن الأمور بميزان الربح والخسارة ، أو المنفعة والمضرة أو بحسب المردود الحسن والمردود السيء.

إذا رفضنا برامج الابتعاث جملة وتفصيلاً بحجة وجود الكثير من الأخطار المحدقة بالمبتعثين ، فإننا نفوت على أنفسنا وبلادنا الكثير من الفوائد والآثار الإيجابية ، والتي تقدم الإشارة إلى بعضها ، وفي الوقت نفسه ، فإن إتاحة الفرصة لكل راغب فيها بلا

قيود أو شروط سيؤدي إلى عدم تحقق الفوائد المرجوة.

إن الحجة الرئيسة لدى رافضي الابتعاث هي الخوف من افتتان الطالب بمجتمع البلد المبتعث إليه وتقليده، والخوف من الانحراف الفكري أو الأخلاقي، وهذا الخوف وإن كانت له بعض المبررات المعقولة، إلا أن من المهم ملاحظة أن كثيراً ممن كتبوا عن الابتعاث، وحذروا من أخطاره، كتبوا عنه في فترات سابقة، حين كان الطالب المبتعث وقتها ينتقل من بيئة متواضعة مادياً، إلى بيئة تحوي قمة التمدن والحضارة، فيتعرض كثير من المبتعثين لصدمة حضارية قاسية، حين يقارن حال بلاده التي قدم منها بحال البلد التي يدرس فيها. إن المباني والمرافق والطرق والمؤاني والمطارات والمدن الصناعية والطبية و الجامعية في بلادنا وفي الكثير من الدول العربية في الوقت الحاضر لا تقل عن مثيلاتها في الدول المتقدمة بل ربما تكون أفضل مما هو موجود هناك. لقد روى لنا بعض المبتعثين الذين درسوا في أميركا وأوروبا في الستينيات والسبعينيات من القرن الميلادي الماضي كيف تعرضوا لصدمة حضارية هائلة عندما رأوا الطرق السريعة وناطحات السحاب الشاهقة والمدن الجامعية والطبية الراقية والخدمات الحديثة، وقارنوا ذلك بحال بلادهم المتواضع.

ومن ناحية أخرى، فقد أصبح العالم في الوقت الحاضر قرية صغيرة بفعل العولمة وتأثيراتها، فلم يعد التأثر أو الافتتان بالثقافات الأخرى مقصوراً على من يسافر خارج وطنه، وإنما يمكن التأثر بالثقافات الأخرى حتى لمن لم يغادر حدود وطنه؛ بفعل

التواصل الثقافي والإعلامي الهائل الذي يعيشه العالم المعاصر اليوم ، وعوامل «الإفساد والإغراء» كما في حجج الرافضين أصبح التعرض لها لا يستدعي السفر إلى أقاصي الدنيا.

إن بعض رافضي الابتعاث قد يحمل تصورات خاطئة ، وأفكار سلبية عن بعض دول الدراسة ، وبخاصة الغربية منها ، فيما يتعلق بالحياة الاجتماعية والحريات والتعاملات ، وبسبب هذه التصورات والأفكار الخاطئة يتخذ موقفاً متشددا رافضاً للابتعاث أو حتى مجرد السفر خارج البلاد ، والحقيقة إن لكل أمة من الأمم جوانب مشرقة مضيئة في السلوك والأخلاق والتعاملات ، كما أن لها أيضاً جوانب مظلمة والنظرة المتعقلة المتوزانة هي التي تعترف بالجوانب الإيجابية في تلك المجتمعات وتدعو إلى احتذائها ، كما تقر بوجود الجوانب السلبية ، وتحذر من تقليدها.

وأخيراً ، فلا بد من الإشارة إلى الوجود الإسلامي في البلاد الغربية ففي العقود الأخيرة ، انتشرت المساجد والمراكز الإسلامية في معظم مدن الدول غير الإسلامية كما انتشرت الجمعيات والأندية الطلابية الإسلامية في الجامعات ومؤسسات التعليم العالي المختلفة ،وهذا -بالتأكيد- له دور كبير في محافظة طلابنا على هويتهم الإسلامية والعربية ، وشغلهم أوقاتهم بما يفيد من أنشطة اجتماعية وثقافية ورياضية متنوعة. إننا نرى كثيراً ممن يدرس في الخارج من الطلاب المبتعثين متمسكين بدينهم ، ومحافظين على فرائضه ، كما أن معظم الطالبات المبتعثات معتزات بهويتهن الإسلامية ، ومحافظات على حجابهن ، بل إن معيشتهم في بلاد الابتعاث أحياناً تزيدهم تمسكاً بدينهم ومحافظة عليه. بالتأكيد لكل قاعدة شواذ

، فيوجد من هو منحرف في فكره أو سلوكه ، كما قد يوجد من يُسيء إلى دينه ووطنه بتصرفاته ، وقضية الانحراف موجودة حتى لدى أناس لم يحصلوا قط على جواز سفر. وعموماً فإن التدقيق في اختيار الطلاب المبتعثين ، ومنح البعثات للطلاب المتفوقين علماً والمتميزين أخلاقاً وسلوكاً ، يؤدي إلى زيادة فرص النجاح ، وتحقيق أهداف الابتعاث ، والتقليل من احتمال الفشل.

ويقترح بعض المتخوفين من آثار الابتعاث السلبية قصره على الطلاب المتزوجين أو قصره على مراحل الدراسات العليا فقط ومنع الابتعاث للدراسة في مرحلة البكالوريوس ، بحجة صغر سن الطلاب في هذه المرحلة ، وسهولة تعرضهم للفتن والمغريات ، ومع أهمية الزواج وأثره في الاستقرار النفسي والعاطفي للطالب ، إلا أننا بقصر الابتعاث على المتزوجين نفوت فرصة التعلم المتميز والراقي على الآلاف من المتقدمين للابتعاث والمؤهلين له ، والذين لم يتمكنوا من الزواج بعد كما أننا بقصر الابتعاث على طلاب الدراسات العليا نفوت فرصة الاستفادة من مرحلة مهمة جداً ، فمرحلة البكالوريوس هي المرحلة الأساس التي تبنى فيها معارف الطالب ، وتتشكل فيها ثقافته العلمية التخصصية ، وتختلف طبيعة الدراسة فيها من حيث الكيف والكم عن مرحلتي الماجستير أو الدكتوراه ، بالإضافة إلى أن اكتساب اللغة الأجنبية وتحدثها بطلاقة يكون أسهل في حال صغر سن الطالب. وأخيراً ، فإن الأساس هو تربية طلابنا التربية الإسلامية الصحيحة ، وغرس العقيدة في نفوسهم ، وزرع الثقة فيهم ، والبعد عن التشكيك فيهم ، أو إساءة الظن بهم ، وهم مؤهلون -إن شاء الله- للدراسة والتفوق والعودة

إلى أرض الوطن محققين آمال أمتهم ووطنهم .

وفيما يتعلق بقضية كون الدراسة قد تتناول موضوعات وقضايا لا علاقة لها بالطالب وواقع بلاده ومشكلاته ، فربما يكون ذلك صحيحاً إلى حد ما في بعض التخصصات النظرية أو الإنسانية ، ومع ذلك فإن الطالب المبتعث للدراسة في هذه التخصصات تتاح له الفرصة للاستفادة من خبرات و تجارب الدول الأخرى ، واكتساب منهج البحث العلمي وأسلوبه ، كما أن الطالب يستطيع توجيه أبحاثه ومشاريعه الدراسية نحو القضايا التي تهمه وتهم بلاده .

وأما بالنسبة لتفضيل العيش والبقاء في بلاد الدراسة ، فهذا أمر في حكم النادر، وذلك من تجارب الابتعاث السابقة للمملكة ودول الخليج ، إذ يعود طلاب هذه الدول إلى أوطانهم بعد إنتهاء بعثاتهم ، وعموماً ، فإن معظم دول الدراسة تمنع الطلاب من البقاء فيها بعد إنتهاء دراستهم ، ويجب على الدول العربية القيام بإصلاحات إدارية واقتصادية وتحسين الوضع المعيشي لمواطنيها ، وتوفير الفرص الوظيفية لاستقطاب العقول العربية المهاجرة والاستفادة منها.

وأما بالنسبة لمبرر عدم ارتباط الابتعاث بحاجات التنمية ، فإن الملاحظ في خطط وبرامج الابتعاث في الأعوام الأخيرة -سواء أكانت لدى إحدى الجهات الحكومية أو الخاصة- التركيزُ على التخصصات العلمية بما يناسب حاجة الوطن التنموية في المستقبل.

وأما ما يتعلق بالهدر المالي ، فالابتعاث استثمار كما تقدم ، وما يُنفق من أموالٍ على برامجه اليوم ، سنرى ثمراته ونتائجه في المستقبل -إن شاء الله- ومن الضروري عند حساب تكاليف الدراسة

في الخارج مقارنتها بتكلفة الدراسة في الجامعات المحلية مع الأخذ بالاعتبار مستوى التعليم وجودته ، فالدراسة في الجامعات المحلية تكلف الدولة مبالغ كبيرة للطالب الواحد ، ويمكن التحقق من ذلك بالاطلاع على ميزانيات الجامعات المحلية ، وما يصرف عليها من أموال هائلة ومقارنة ذلك بضعف المخرجات ، ويظهر لنا أن تكلفة الدراسة في الجامعات الخارجية مقاربة لما ينفق على الطالب في الجامعات المحلية ، إلا أنه لا تتوافر معلومات علمية دقيقة لتأكيد ذلك.

وبالنسبة للآثار النفسية أو الاجتماعية السلبية على الطلاب المبتعثين ، فلا يوجد ما يشير إلى أنها ظاهرة ، بل هي حالات قليلة ، وغالبية المبتعثين يعيشون في أجواء إيجابية ، كما أن أنظمة الابتعاث في الدول العربية تؤكد على دور الملحقيات الثقافية في بلدان الابتعاث في رعاية شؤون الطلاب ، وتوفير الظروف الملائمة والمشجعة لهم على الدراسة والتفوق ، ويدخل في ذلك المخصصات المالية ، ودعم الأندية الطلابية ، والرعاية الصحية للمبتعث وزوجته وأطفاله ، وكذلك منحهم تذاكر طيران سنوية لزيارة الوطن ، ونحو ذلك .

وأخيراً، فإن ثمة سؤال يتكرر عند مناقشة القضايا المتعلقة بالدراسة في الخارج عن الفائدة التي تجنيها الدول من فتح أبوابها للطلاب الأجانب ، بل وفي بعض الأحيان ، دفع تكاليف دراستهم أو جزء منها ، عن طريق المنح الدراسية التي تقدمها الحكومات والجامعات للطلاب الأجانب المتميزين ، والحقيقة إن الأسباب التي تدعو الدول إلى الترحيب بالطلاب الأجانب كثيرة ، منها أسباب ثقافية وإيديولوجية ، ومنها أسباب اقتصادية وأكاديمية وسياسية بحتة.

إن من أهم الأسباب التي تدعو كثير من الدول إلى الترحيب بالطلاب الأجانب العائد الاقتصادي الذي تجنيه من رسوم دراسية وسكن وخدمات وتكاليف التنقل وتكاليف المعيشة المختلفة ، وبالإضافة إلى العائد المادي ، فإن المؤسسات التعليمية والأكاديمية في دول العالم المختلفة ترحب بالطلاب الأجانب رغبة منها في زيادة التنوع العرقي والديني والثقافي في مجتمعاتها ، وذلك إدراكاً منها للآثار الإيجابية الكثيرة لهذا التنوع في التعرف على الشعوب والثقافات الأخرى ، والاستفادة مما لديها من إيجابيات ، ولذلك فإن كثيراً من الجامعات والمؤسسات التعليمية تفخر بهذا التنوع وتبرزه في نشراتها الدعائية.

«نؤكد ضرورة نشر الوعي بأهمية الابتعاث الخارجي ، وتوضيح فوائد برامج الابتعاث ودورها المؤمل في التنمية والتطوير، كما أن من المهم تصحيح النظرة السلبية للابتعاث لدى الذين لا يرونه إلا مرادفاً للتغريب والانحراف ، ومع تأكيدنا أهمية دعم برامج الابتعاث الدراسي الى الخارج ، ودورها المؤمل في التنمية والتطوير ، إلا أننا نرى ضرورة الاهتمام بتطوير هذه البرامج ، ورفع أداء الملحقيات الثقافية للدول العربية في الخارج ، وضرورة اختيار الطلاب المؤهلين والمتميزين علماً وسلوكاً ، وإلا فإن برامج الابتعاث قد لا تحقق أهدافها المرجوة ، اذ قد تصبح سياحة يحظى بها بعضهم ويدفع تكاليفها الجميع». عبدالعزيز بن عبدالله بن طالب[١٤]

الخلاصة

قدم هذا الفصل لمحة تاريخية موجزة عن نشأة وتاريخ الابتعاث في بعض الدول العربية وتحديداً في مصر والسعودية، كما نوقشت العديد من فوائد برامج الدراسة في الخارج والآثار المترتبة عليها على الطالب، بزيادة معارفه وعلومه، والرفع من قدراته ومهاراته، وعلى المجتمع ككل، من خلال دفع عجلة التنمية والإسهام في التقدم والنماء، وتوطيد عرى الصداقة وزيادة فرص التعاون مع الشعوب والمجتمعات الأخرى، كما تم التطرق إلى علاقة برامجالدراسة في الخارج بالتنمية، ثم مناقشة أهم النقاط المرتبطة بالرأي المعارض للابتعاث للدراسة في الخارج، وقد خُتم هذا الفصل بذكر أهم الأسباب التي تدعو الدول إلى الترحيب بالطلاب الأجانب في جامعاتها. وقد تبين في هذا الفصل الأهمية الكبرى للابتعاث خاصة في هذه المرحلة التنموية التي يمر بها الوطن العربي في الوقت الحاضر، والتي لا تترك أمامنا خياراً آخر إلا اللجوء إلى الابتعاث المنظم، وفق ضوابط وشروط محددة، مع التركيز على التخصصات الضرورية والمهمة، والفصل التالي، ينتقل من هذه المقدمات ليتناول الخطوات الإجرائية العملية التي يحتاجها الطالب الراغب في الدراسة في الخارج، بدءاً بالتخطيط وتحديد الأهداف، ثم استيفاء متطلبات القبول، فمراسلة الجامعات، والاستعداد للسفر، وما يتعلق بالأنظمة والعادات والتقاليد، ونحو ذلك من المعلومات الضرورية لكل مقبل على هذه الرحلة والتجربة والفريدة.

الهوامش

(١) القعيد، إبراهيم بن حمد (١٤١٥هـ). الطلبة المسلمون في الغرب بين المخاطر والآمال، الرياض: مكتبة دار السلام ، ص ٩ .

(٢) الساسي ، عمر الطيب (ربيع الأول ، ١٣٩٩هـ)، المبتعثون ، مغتربون في طلب العلم، مجلة المبتعث ، ٢.

(٣)انظر : حامد . نجلاء و محمد. أماني (٢٠٠٣م).التربية والتعليم في مصر: دراسة تاريخية تحليلية. ط٣. القاهرة: مركز الكتاب للنشر.

(٤) مقدمة ابن خلدون . بيروت: دار القلم ، ط ١١، ١٩٩٢م ، ص ٤٣٤.

(٥) آل الشيخ ، عبدالعزيز بن عبدالله بن حسن (١٤١٢هـ) . لمحات عن التعليم وبداياته في المملكة العربية السعودية . الرياض: شركة العبيكان للطباعة والنشر.

(٦) خياط ، عبدالله عمر. الدراسة في الخارج. صحيفة عكاظ ، عدد ١٤٧٧٢، ١٤٢٨/١/١٧هـ

(٧) نوفل. محمد (١٩٧٩م). التعليم والتنمية الاقتصادية ، القاهرة: مكتبة الانجلو المصرية.

(٨) خلال لقائه الطلاب المبتعثين في بريطانيا ، شوال ١٤٢٨هـ ، المصدر: صحيفة الشرق الأوسط، العدد ١٠٥٦٦

(٩) دياب . إسماعيل (١٩٩٠م). العائد الاقتصادي المتوقع من التعليم الجامعي ، القاهرة : عالم الكتب. ص ٥١-٥٢.

(١٠)حمود، رفيقة (مارس، ١٩٩٨م). مساهمة التعليم العالي في تطوير الأنظمة التعليمية، المؤتمر الإقليمي العربي حول التعليم العالي، بيروت، ص ٣ . كما في، القرني . علي بن سعد آل هزاع ، اللائحة المنظمة لشؤون منسوبي الجامعات السعودية من أعضاء هيئة التدريس ومن في حكمهم تحليل ونقد ، بحث منشور على شبكة الانترنت (كما في ٢٠٠٦/٨/٥م).http://wwww.ksu.edu.sa/kfs_website/source/2.htm

(١١) الصاوي ، عبدالدايم (١٩٩٢م). تجربة الانفتاح الاقتصادي والتنمية الصناعية في مصر ومقارنتها بتجربة كوريا الجنوبية وسنغافورة . القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب.

(١٢) مجلة منبر الإسلام (مايو ، ١٩٩٠م). أبناء المسلمين فريسة للمنظمات الصهيونية والماسونية، ١٠/٤٨، ص ٨٢.

(١٣) انظر على سبيل المثال : مجلة الفيصل (ذو القعدة ، ١٣٩٨هـ) البعثات إلى الخارج السلبيات والإيجابيات. ١٧ ، ص ٧٠-٧٤، وَ الصباغ (١٤٠٣هـ). مرجع سابق

، وَ خليل ، عماد الدين (١٩٨٠م). البعثات التعليمية بين السلب والإيجاب. القاهرة: دار الاعتصام ، وَالجهني، عاطي بن عطية (١٤١٨هـ). الابتعاث والمسخ الفكري (ضمن كتاب من رسائل الدعوة). دمنهور: مكتبة لينة ، وَ المحمود ، عبدالله بن زيد (١٤٠٤هـ). منع سفر البنات للخارج في سبيل الدراسة أو الانتساب للجامعات . مجلة البحوث الإسلامية ، ٩، ص ٢٨١-٢٨٧. وَمجلة منبر الإسلام ، مرجع سابق، ص ٨٢-٩٢ ، وَالبخاري ، رقيه عبدالله (ربيع الأول ، ١٤١٢هـ). الابتعاث وآثاره على المجتمع، مجلة الجندي المسلم ، ٢٠/٦٣ ، ص ٩٤ ، وَ مجلة الوعي الإسلامي (محرم ١٤١٥هـ). التغريب في التعليم في العالم الإسلامي (كتاب الشهر). ٣٤١، ص ٧٨-٨١، وَشبكة نور الإسلام (١٤٢٦هـ) حدث وتقرير. منشور على شبكة الانترنت (كما في ٣٠/٧/١٤٢٦هـ) www.islamlight.net

(١٤) الفقرة الأخيرة من مقال المؤلف: «برامج الدراسة في الخارج: استثمار بلا حدود» ، والذي يمكن عده نواة هذا الكتاب. هذا المقال المطول نشر في الطبعة الدولية من جريدة الحياة ، العدد ١٥٥٩٢ السبت ٨/١١/١٤٢٦هـ (١٠/١٢/٢٠٠٥م).

الترتيب العالمي : ٢

جامعة كاليفورنا ـ بيركلي University of California_Berkeley

مقر الجامعة : بيركلي – كاليفورنيا ، الولايات المتحدة الأميركية

تاريخ التأسيس : ١٨٦٨م

مجموع أعداد الطلاب : ٣٤,٩٥٣

أوقاف الجامعة : ٢,٩ بليون دولار أميركي

الموقع على الانترنت : www.berkeley.edu

٢

خطوة رقم واحد

"ومن تشوّف بفطرته إلى العلم ممن نشأ في القرى والأمصار غير المتمدنة فلا يجد فيها التعليم الذي هو صناعي .... ولا بد له من الرحلة في طلبه إلى الأمصار المستبحرة شأن الصنائع كلها".

ابن خلدون

المقدمة، ص٤٣٤

في هذا الفصل :

الثاني

- التخطيط وتحديد الأهداف
- اختيار الدولة والجامعة
- اعتبارات اختيار الجامعة
- أولاً : اعتبارات أكاديمية
- ثانياً : اعتبارات شخصية
- التعرف على الجامعات

ركز الفصل الأول من هذا الكتاب على مناقشة الفوائد والآثار الإيجابية لبرامج الابتعاث الدراسة في الخارج على الفرد والمجتمع ، وهذا الفصل ، والفصول التي تليه ، تركز على المعلومات والإرشادات العملية للطلاب الذين يرغبون الدراسة في الخارج ، بدءاً من التخطيط وتحديد الأهداف الدراسية ، ثم الوفاء بمتطلبات القبول ، فمراسلة الجامعات ، ثم الاستعداد للسفر، وسيتطرق الحديث في هذا الفصل إلى أهمية التخطيط وتحديد الأهداف للطالب الراغب في الدراسة في الخارج ، كما يناقش بالتفصيل الاعتبارات الأساسية عند اختيار الدولة والجامعة.